

هُود عَلَى سَلَامٍ

هود عليه السلام

هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام .

وهود عليه السلام هو حفيد سام بن نوح ، ومن نبوة نوح إلى نبوة هود ، لم يبعث الله أنبياء .

وقد أرسل الله سبحانه هود ؛ ليدعو قوم عاد إلى عبادة الواحد الحق ، حيث كانوا يعبدون الأصنام .

وقوم عاد كانوا يسكنون الأحقاف - وهي جبال الرمل - وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت ، بأرض مطلة على البحر ، يقال له الشجرة ، واسم واديهـم : مغيث .

مساكن عاد وألهتهم:

كانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ ﴾ [الفجر : ٨ - ٩] ^(١) .

وقوم عاد هم أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان ، وكانت أصنامهم ثلاثة : حمداً وصموداً وهرا ، فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان .

(١) «تفسير ابن كثير» ، ابن كثير . (بتصرف) .

هود عليه السلام يدعو قومه:

دعا هود عليه السلام قومه إلى توحيد الله، وكانوا يعبدون الأوثان، ثم ذكّرهم بنعم الله عليهم، وكيف أنه زادهم في الخلق بسطة، فمنحهم القوة الجسدية التي لا تمنح لأحد غيرهم، وجعلهم خلفاء من بعد نوح عليه السلام، وبوآهم الأرض التي تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذي يعيشون منه.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَصَاغِدَ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١].

وظل هود عليه السلام يدعو قومه محاولاً إقناعهم بالرجوع إلى طريق الحق، وينهاهم عن الشرك والتجبر على العباد.

قال تعالى: ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وأخبر هود عليه السلام قومه أن الأصنام التي يعبدونها هم الذين أعطوها أسماءها، وليس فيها معنى من معاني الألوهية، وأنه من عملهم وصنع أيديهم، فهي لم تخلقهم، ولا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، وأنها لا حجة لهم في القول بأن هذه الأصنام عبدها آباؤهم، فليس من العقل في شيء أن يتبع الإنسان أباه إذا كان أبوه في ضلال وكان كافراً مشركاً.

قال تعالى: على لسان هود عليه السلام: ﴿أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ

سَمِعْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ ﴿٧١﴾ [الأعراف: ٧١]، ووعدهم ﷺ بالخير الكثير، وأن الله سيرسل عليهم من السماء الماء مدراراً إن تابوا واستغفروا، فقال: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ [هود: ٥٢]، وبين هود ﷺ في دعوته حقيقة الموت والبعث، فأخبر قومه أن الموت ليس هو نهاية أمرهم، بل إنهم سوف يبعثون بعد الموت، وأنهم سوف يخرجون من قبورهم ويعودون إلى الحياة مرة أخرى، يخلقهم من جديد، كما خلَقُوا أول مرة، ويحاسبون حسب أعمالهم التي ماتوا عليها، وأن هذا سيكون في اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، وهو يوم الخلود، ولكن قوم عاد جحدوا وردُّوا قائلين: ﴿أَبَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ [المؤمنون: ٢٣-٣٨] (١).

موقف قومه من دعوته:

قابل الملأ من قومه، وهم الأشراف والسادة، دعوة هود ﷺ بالإنكار والجحود، ورموه بالكذب والضلال والجنون.
وقالوا له: إنك لم تأتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا، وما نحن لك بمصدقين.

(١) «تاريخ الأنبياء والرسول»، محمد وصفي. (بتصرف).

بل لقد بلغ من كفرهم أن رجلاً منهم اسمه (حَمَار) مات له أولاد فكفر كفراً عظيماً وتمادى في غيّه وضلاله، فلا يمر عليه أحد بأرضه إلا دعاه إلى الكفر، فإن أجاب إلى الكفر تركه وإن امتنع عن الكفر قتله^(١).

ثم إن عاداً ضجروا بما يدعوهم إليه هود عليه السلام ونفروا من كثرة نصحه لهم، ولم يتركوا عبادة آلهتهم ليعبدوا الله وحده، بل تحدّوه أن ينفذ فيهم وعيده وأن يقع عليهم العذاب والغضب من الله. فأجابهم هود عليه السلام قائلاً: أشهد الله على صدق ما أقول، وأشهدكم أنني بريء من آلهتكم وأوثانكم.

ثم قال لهم: لا بد أن يقع عليكم غضب الله، فانتظروا عذابه، إني معكم من المنتظرين.

قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا نَعْبُدُونَ﴾ [٧٠] كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧٢﴾ [الأعراف: ٧٠، ٧١].

هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين:

لجأ هود عليه السلام إلى ربه طالباً نصره وعونه قائلاً: ﴿رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون: ٣٩].

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، جواد علي.

فاستجاب الله عز وجل دعاءه وقال: ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

وكان هذا إنذاراً عاجلاً من القوي العزيز بأنَّ العذاب الذي لم يتوقعوه وطالما استعجلوه قد قرب، وأنه بما أعدّه لهم من شر وبلاء يروونه رأي العين، فيندمون حين لا ينفع الندم، ولا يملكون كشف الضر عنهم^(١).

ثم جاء الوعد الحق، وكان أول ما ابتدأهم من العذاب أن مُنِع عنهم المطر ثلاثة أعوام؛ حتى أجهدهم الأمر وأصيبوا بقحط شديد. وكانوا يتطلعون إلى السماء كل صباح ومساءً أملين أن ينزل عليهم المطر ولكن دون جدوى، فأسرع جماعة منهم إلى الكعبة على رأسهم رجل اسمه (القيس) ورجل اسمه (مرصد بن سعد)، وكان لهم أخوال يحكمون مكة من العماليق أولاد (عمليق بن لاوثة بن سام بن نوح). فنزلوا عندهم فأكرموا وفادتهم وجاءوا لهم بالطعام والشراب ومجالس الطرب.

وظلوا شهراً يأكلون ويشربون دون أن يذهبوا إلى الكعبة، وتعجَّب (معاوية بن بكر) كبير العماليق من حالهم، وقال في نفسه: هؤلاء الجماعة جاءوا لينقذوا قومهم من الجذب والقحط، ولكنهم نسوا ما جاءوا من أجله ولم يذهبوا إلى الكعبة، وفكَّر معاوية بن بكر كيف يلفت انتباههم لكي يذهبوا إلى الكعبة، وفي نفس الوقت لا يشعرهم أنه ضاق بهم ذرعاً.

(١) «تاريخ الأنبياء»، محمد الطيب النجار. (بتصرف).

فكتب شعراً وأمر مغنيتين من عنده أن تغنيهم به، فقال:

ألا يا قِيلَ ويحك قم فهينم
لعل الله يصبحنا غماماً
فيسقي قوم عاد إن عاداً

قد أمسوا لا يبينون الكلاماً

ثم أكمل الأبيات بأن قوم عاد أصابهم الجذب حتى فقدوا القدرة على الكلام، فظلت المغنيتان ترددان هذه الأبيات حتى تنبه القوم لما جاءوا له فانطلقوا إلى الكعبة وجلسوا يبتهلون ويدعون أن ينزل المطر على أرض عاد.

فسمعوا هاتفاً يقول: اختر لقومك... هناك سحابة سوداء وسحابة حمراء وسحابة بيضاء، فأَي سحابة تريدونها أن تذهب لقومكم؟ فاختاروا السحابة السوداء اعتقاداً منهم أنها مادامت سوداء داكنة فلا بد أن تكون مليئة بالمطر.

وعادوا إلى قومهم وأخبروهم بما حدث، واختيارهم للسحابة السوداء، فلمَّا رأوا السحابة السوداء قادمة عليهم استبشروا وقالوا: جاءنا المطر، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدَيْنَهُمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَّ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

حينئذ ردَّ الله سبحانه وتعالى عليهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥] (١).

قد سَلَطَ الله عليهم ريحاً عاصفة تتابعت سبع ليالٍ وثمانية أيام فلم
تبق منهم أحداً، بل تتبعتهم الرياح حتى كانت تدخل عليهم كهوف
الجبال فتخرجهم من مكانهم وتهلكهم، وكانت تدمر عليهم بيوتهم
المشيقة، فهلكوا جميعاً وتناثرت جثثهم على الأرض، فلم يبق منهم
أحداً، وعن حالهم يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا
بِرِيحٍ صَرَصٍ عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى
الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ آعْجَازُ تَخَلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٦ - ٨].

أما هود والذين آمنوا معه، فإنه سمع ﷺ حين رأى السحاب
هاتفاً يقول له: اخرج من هذا المكان فهذا السحاب فيه العذاب.

فأخذ جماعة المؤمنين وانطلق إلى مكة وعاش هناك إلى أن لقي
الله عز وجل.

ونجى الله هوداً ومن معه من المؤمنين، ونصرهم في الحياة الدنيا
ويوم يقوم الأشهاد.